المحاضرة الأولى:

مدخل عام في نشأة مدارس التاريخ الإسلامي

تشكل سيرة نبينا محمد ﷺ الركيزة الأساسية لحركة التاريخ الإسلامي، لأن السيرة النبوية هي أول ما دوّنه الكتّاب المسلمون ثم تلا بعد ذلك تسلسل الأحداث. وقد اعتمد المسلمون في تدوين تاريخهم على المنهج العلمي الدقيق القائم على الضبط والتمحيص للروايات التاريخية، وذلك من خلال الاعتماد على علم الجرح والتعديل للرواة[1].

أولا: نشأة المدرسة التاريخية الإسلامية: اهتم جلّ الصحابة و التابعين بالقرآن الكريم – مبكرا – رواية وكتابة، بينما بقيت السنة والسيرة النبويتان تروى شفاها، بالاعتماد على الحفظ والرواية جيلا عن جيل، الى أن بدأت عملية تدوين أحاديث الرسول في منتصف القرن الثاني الهجري، وبذلك حوت كتب السنة الكثير من الروايات الجامعة لأحداث السيرة النبوية والمغازي. ثم استقل علم السيرة النبوية بالتأليف، معتمدا منهج علماء الحديث في نقل الروايات الصحيحة الثابتة بالسند المتواتر، والتي نقلت مجمل حياة المصطفى ﷺ بدءا بنسبه الشريف وولادته الى طفولته وأهم الأحداث في شبابه وزواجه، ثم بعثته ونزول الوحي عليه إلى أخلاقه وصدقه وأمانته.. وأهم الخوارق والمعجزات التي أجراها الله تعالى على يديه، ثم باقي مراحل الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة وأهم الغزوات التي خاضها مع أهل الشرك والوثنية، الى أن توفاه الله تعالى وقد أدى أمانة الإسلام كاملة تامة.

ثانيا: أهم المدارس الإسلامية التاريخية:

1. **مدرسة علماء الحديث:** يتصدرها عروة بن الزبير (ت92 ه) وابن شهاب الزهري (ت124ه).

من خصائص هذه المدرسة أنها جمعت بين علم التاريخ وعلوم الحديث.

2. **مدرسة أصحاب المغازي والسير:** من أشهر أصحابها:

– محمد بن اسحاق (ت 151ه) عالم كبير حفظ القرآن والشعر تربى مع الجيل الأول من التابعين في المدينة ثم هاجر الى بغداد. قال عنه الشافعي: "إن محمدا صادق صدوق".

– محمد بن عمر الواقدي: (ت207ه) تربى في بغداد نال علما كبيرا وقد أكثر في كتابة المغازي إلا أنه نقل عن الرافضة الشيعة، له كتاب "مغازي إفريقيا" غلب عليه طابع الخرافة والأسطورة.

3. **الموسوعات التاريخية الكبرى:** يأتي على رأس هذه الطبقة أبو جعفر بن جرير الطبري(ت310ه)، وله تفسير عظيم يعتبر أول كتاب تام في التفسير، وله كتاب "تاريخ الأمم والملوك".

4. **المدرسة العلمية:** وقد ظهرت في القرن 19ه، زعماؤها مفكرين ومستشرقين، وهي تعتمد على إبداء رأي المؤرخ في الأحداث والأخبار ولا تكتفي بالنقل فقط، وإنما يقحم المؤرخ نزعته الشخصية والذاتية واتجاهه الفكري والعقدي في تفسير الأحداث وتعليلها، وقد تأثر بهذا المذهب بعض الكتاب المسلمين فردّوا المعجزات النبوية والخوارق.. مثال ذلك:كتاب "حياة محمد" لحسين هيكل.

---

1 الجرح والتعديل: هو علم يبحث فيه عن أحوال الرُّوَاةِ وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم وقبول الحديث عنهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان فيردّ حديثهم.

ثالثا: مصادر السيرة النبوية: تنحصر المصادر الرئيسية المعتمدة للسيرة النبوية في أربعة مصادر:

1- القرآن الكريم: وهو مصدر أساسي نستمد منه ملامح السيرة النبوية، وقد تعرض القرآن الكريم لنشأته ﷺ فقال: ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى)) الضحى5-6، كما تعرض لأخلاقه الكريمة العالية فقال: ((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) القلم4 . و تحدث القرآن عما لقيه ﷺ من أذى وعنت في سبيل دعوته، كما ذكر ما كان المشركون ينعتونه به من السحر والجنون، وقد تعرض القرآن لهجرة الرسول كما تعرض لأهم المعارك الحربية التي خاضها بعد هجرته، وتحدث عن بعض معجزاته.. لكن الملاحظ أن القرآن في عرضه لهذه الوقائع كان مجملا، ولهذا وجب الرجوع إلى كتب السنة لتكون أحداث السيرة متكاملة.

2- **السنة النبوية الصحيحة:** هي الكتب التي جمع فيها أئمة الحديث المعروفون بصدقهم وعدالتهم أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وهي المعروفة بالكتب الستة: (البخاري، ومسلم، وأبوداود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه). ويضاف إليها: موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد. وخاصيتها أنها لم تراع التتابع الزمني للأحداث.

3- **الشعر العربي المعاصر لعهد الرسالة:** وممن اشتهر بذلك شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما، وقد تضمنت كتب الأدب والسيرة قسطا كبيرا من هذه الأشعار التي احتوت حقائق كثيرة عن البيئة التي كان يعيش فيها الرسول ﷺ وأصحابه.

4-كتب السيرة: كانت وقائع السيرة النبوية روايات يرويها الصحابة رضوان الله عليهم إلى من بعدهم، ثم تناقل التابعون هذه الأخبار ودونوها في صحائف عندهم، وعلى رأسهم عروة بن الزبير(ت92 ه)، وأبان بن عثمان بن عفان(ت105ه)، ووهب بن منبه(ت110ه)، و شرحبيل بن سعد(ت123ه) و ابن شهاب الزهري(124ه). ثم بعد ذلك تنامى الاهتمام بكتابة السيرة النبوية إلى درجة الإتقان والوضوح والشمول، وكان أشهرهم: محمد بن إسحاق(ت152ه) صاحب كتاب المغازي، ثم جاء بعده ابن هشام (ت218ه) الذي قام بعمل جليل في روايته للسيرة من خلال كتاب (المغازي) لابن إسحاق. ثم توالى علماء الإسلام الى اليوم في تأريخ أحداث سيرة الرسول الكريم.

رابعا: أهمية دراسة السيرة النبوية:

1. فهم شخصية الرسول ﷺ النبوية من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها.
2. تمثل سيرة الرسول المثل الأعلى في كل شؤون الحياة، قال تعالى: **{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }** [الأحزاب : 21] .
3. أحداث السيرة النبوية هي تفسيرٌ واضحٌ لكثير من الآيات القرآنية.
4. السيرة النبوية نموذج حيٌّ عمليٌّ لكل معلم أو مرب أو داعية.. من خلال الطرق الصحيحة للتربية والتعليم.

تتجمع لدى المطلع على سيرة المصطفى معارف كثيرة وثقافة إسلامية واسعة، سواء ما يتعلق بالعقائد أو الأحكام أو الأخلاق والفضائل.